

القومية حب قبل كل شيء

أخشى أن تسف القومية عندنا إلى المعرفة الذهنية والبحث الكلامي فتفقد بذلك قوة العصب وحرارة العاطفة. كثيرا ما أسمع من الطلاب أسئلة عن تعريف هذه القومية التي ننادي بها: أهى عنصرية تقوم على الدم، أم روحية تستمد من التاريخ والثقافة المشتركة، وهل هي تنفي الدين أم تفسح له مكانا؟!

وكأنى بهم يعلقون ايمانهم بالقومية على درجة التعريف من الصحة والقوة. مع أن الأيمان يجب أن يسبق كل معرفة ويهزأ بأي تعريف، بل انه هو الذي يبعث على المعرفة ويضيء طريقها.

القومية التي ننادي بها هي حب كل شيء. هي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته، لان الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة. والقومية ككل حب، تفعم القلب فرحا وتشيع الامل في جوانب النفس، ويود من يشعر بها لو ان الناس يشاركونه في الغبطة التي تسمو فوق أنانيته الضيقة وتقربه من أفق الخير والكمال، وهي لذلك غريبة عن ارادة الشر وأبعد ما تكون عن البغضاء. اذ ان الذي يشعر بقدسيته ينقاد في الوقت نفسه الى تقديسها عند سائر الشعوب فتكون هكذا خير طريق إلى الانسانية الصحيحة. . . وكما ان الحب لا يوجد الا مقرونا بالتضحية فكذلك القومية، والتضحية في سبيلها تقود إلى البطولة. اذ ان الذي يضحي من أجل أمته، دفاعا عن مجدها الغابر وسعادة مستقبلها، لأرفع نفسا وأخصب حياة من الذي يحصر تضحيته في شخص واحد.

ان الذي يحب لا يسأل عن أسباب حبه. واذا سأل فليس بواجب له سببا واضحا. والذي لا يستطيع الحب الا لسبب واضح يدل على ان الحب في نفسه قد فتر او مات.

فكيف يجوز لبعض الشباب ان يتساءلوا عن الحجة الدامغة التي تقنعهم بأن حبههم لأمتهم العربية يجب أن يغلب حبههم لأي شعب آخر، ويرجح على كل ميل لهم نحو طائفة او عشيرة او اقليم؟ وكيف يجوز لهم أن يتساءلوا فيما اذا كان للعرب

فضائل جديرة بالحب؟ ان الذي لا يحب امته الا اذا كانت خالية من العيوب لا يعرف الحب الحقيقي . وفي رأبي أن السؤال الوحيد الذي يجوز للشباب أن يطرحوه على أنفسهم وعلى أساتذتهم هو هذا: ما دمنا نحب أمتنا بخيرها وشرها ففي أي طريق نستطيع أن نحول هذا الحب إلى خدمة نافعة وعلى أي اسلوب؟

الحب، أيها الشباب، قبل كل شيء . الحب أولا والتعريف يأتي بعده . اذا كان الحب هو التربة التي تتغذى قوميتكم منها، فلا يبقى مجال للاختلاف على تعريفها وتحديدتها . فتكون روحية سمحة بمعنى انها تفتح صدرها وتظلل بجناحيها كل الذين شاركوا العرب في تاريخهم وعاشوا في جولغتهم وثقافتهم أجيالا فأصبحوا عربا في الفكرة والعاطفة . ولا خوف ان تصطدم القومية بالدين فهي مثله تنبع من معين القلب وتصدر عن ارادة الله ، وهما يسيران متآزرين متعانقين ، خاصة اذا كان الدين يمثل عبقرية القومية وينسجم مع طبيعتها .

عام ١٩٤٠